

بلاغة الملفوظ الحجاجي في كليلة ودمنة

(محاكمة دمنة نموذجاً)

مقاربة تداولية.

الباحثة: أسماء حميلي

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

ملخص البحث

[تسعى هذه الدراسة إلى استنفاد الجهد في سبيل الوقوف على بلاغة الملفوظ الحجاجي، في دراسة لنموذج خطابي يتعلّق بمحاكمة دمنة من باب الفحص عن أمر دمنة في كليلة ودمنة، والتي تبيّن أنّ ما يميّز الملفوظ الحجاجي للمحاكمة هو تفاعل الجوانب الحجاجية مع الآليات البلاغية، وقد تبيّن أنّ هذا النوع من الخطابات يعدّ الأكثر تماشياً مع طبيعة المنهج التداولي.]

Abstract

This study aims at exhausting the efforts in order to stand on the eloquence of the argumentative ejected, in a study of an oratorical sample about Dimna's judgment in order to examine Dimna's issue in Panchatantra (KalilaWaDimna). This study shows that the argumentative ejected of the judgment is characterized by the interaction of the argumentative sides with the rhetorical mechanisms. It has been shown too that this type of speeches is considered as the most compatible with the nature of the deliberative approach.



تمهيد:

يعدّ الحجاج من أهمّ قضايا العصر التي شغلت الباحثين قديماً وحديثاً، وفتحت الباب واسعاً أمامهم للكشف عن خبايا هذه القضية، والإحاطة بمختلف جوانبها. وقد كان للبلاغة أثر عظيم في بيان مفهومه، كما وسعت التداولية بدورها إلى نفص الغبار عن بعض الجوانب التي أغفلتها البلاغة في ذلك؛ إذ جعلت البعد

الحجاجي أصلاً تُعنى به قبل أن تهتمّ بالبعد التواصلية، فاللفظ حجاجي في مستواه الأول قبل أن تكون له مهمّة تواصلية.

ولعلّ الإقناع، وهو مقصد أساسي في كلّ خطاب ذي المنزع التأثيري، قد شكّل نواة البحث الحجاجي والقلب الرابط بين البلاغة القديمة (الأرسطية وفي صيغتها العربية القديمة)، فالإقناع هدف يتحقّق عبر توسّل أدوات وأساليب بلاغية (لغوية، تركيبية، بيانية...) وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الأساليب تتنوّع بتنوّع المنظور، فنوع الخطاب (أدبي، علمي، قضائي، تقني، سياسي...) يوجّه استعمالها بما يلائم طبيعته.

ولما كانت البلاغة والحجاج يهتمّان بالكلام ويسعيان إلى بيان القدرة الإقناعية للمتكلّم، كانت الغاية من هذه الدّراسة إبراز مدى قدرة الخطاب القضائي (المحاكمة على وجه الخصوص) على الإقناع من وجهة نظر تداولية حديثة.

وقد تمّ رصد مجموعة من الإشكالات في هذه الدراسة، وذلك من خلال النموذج المخصّص للدراسة، وهو محكمة دمنة في باب الفحص عن أمر دمنة من كتاب كلية دمنة؛ لأنّها تظهر-جليا-على أنّها أشدّ الأنواع الخطابية الهادفة إلى التأثير والإقناع بإقامة الحجّة.

فإلى أيّ مدى تناسب الحجاج مع المحاكمة كونه لونا من ألوان الخطاب القضائي، وكيف يستطيع المتكلّم (متهم/شاهد) أن يقنع المتلقّي (القاضي) من خلال ملفوظاتها الحجاجية؟ وما أهمّ الوسائل التي يتوسّل بها المتكلّم لإقناع المتلقّي؟ وقد حاولت هذه الدّراسة إبراز الوظيفة الحجاجية التي تحتويها ملفوظات محكمة دمنة، وقد كان الحجاج المتّبع في التحليل-كما ستظهر النتائج-حجاجا لغويًا بالدرجة الأولى، يرصد بعض الظواهر اللغوية من تكرار وكناية واستعارة وكذا القدرة الحجاجية بإقامة سلّم حجاجي لها، مع مراعاة مقاصد المتكلّم والسامع ومنزلتهما من الخطاب أي البحث في عناصر السياق المختلفة المحيطة بعملية إنجازه وأدائه.

وستتفقد الدراسة في بدايتها عند الجهاز المصطلحي وذلك بالتعرض للمفاهيم الأولى والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية.

-تعريف البلاغة:

تتفق المصادر اللغوية المختلفة على أنّ البلاغة اسم معنى من بلغ، ومعناه لغة الوصول والانتهاء.

- التشبيه والاستعارة:

لقد عدل الكاتب في كثير من المواضع من كتابه هذا على المعنى الحقيقي الحرفي للكلام واستعمل الألفاظ استعمالاً مجازياً فكانت عبارته المنتقاة أبلغ من الحقيقة فأضافت على النصوص طابعا حجاجياً، من خلال جعل ذهن الملتقي يتجول في خياله بحثاً على المعنى المقصود، وإذا ما تحصل على المراد تمكن في نفسه واستقر في ذهنه لما يتركه من أثر قوي، ومن أمثلة التشبيهات التي وردت في كتاب كليلة ودمنة، قول ابن المقفع: "كيف يجعل نفسه بريئاً كمن لا ذنب له"¹ فاستعمل تشبهاً مرسلاً مفضلاً ذكر فيه أداة التشبيه وهي الكاف، وحذف الوجه الشبه ليكون التجسيد أكثر بلاغة وإقناعاً للمتلقي.

- وإذا كان التشبيه تشكل من ركنين أساسيين فإن الاستعارة هي تشبيه حذف أحد ركنيه ومن أمثلة ذلك في كتاب كليلة ودمنة: " فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة"² فذكر المشبه (المروءة) وحذف المشبه به يقدر (بالإنسان) وعوضه بقريئة لفظية وهي (ترفع)، فلجأ الكاتب إلى هذا الاستعمال مصوراً المعاني في شكل محسوسات حتى يقرب الصورة أكثر إلى المتلقي ويقنعه بفكرة ما تفعل المروءة لصاحبها فهي تتحكم في منزلته، فإذا حافظ عليها تكون نتيجة ذلك المحافظة على منزلته.

3- الكناية:

وهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم³ وهي أسلوب يعدّ ذكره من أساليب التجسيد عن المراد

بطريقة غير مباشرة⁴، ولذلك كانت الكناية من أحسن الطرق التي لجأ إليها الكاتب لأنه يريد التصريح بمقاصده مباشرة وإلا أدى ذلك إلى هلاكه وذلك ما حصل بالفعل ويتجلى من خلال نهايته الأليمة.

- ومن نماذج ذلك: "

- "الرجل الشديد لا يعجزه الحمل الثقيل"⁵ كناية عن هموم الدنيا فإنها إذا اشتدت على الرجل الشديد لا يعجزه الحمل الثقيل " كناية عن هموم الدنيا فإنها إذا اشتدت على الرجل الشديد فسيقام بقوة ولا يهزم أمامه.

4- التمثيل:

«وهو التمثيل المركب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد»⁶. ومن أمثلة ذلك قوله على لسان دمنة (ابن أوى) .

"وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به، دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هو أهل له، وهو أيضا لهم أمل، كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير"⁷ فصور لنا "ابن المقفع" بهذا التمثيل حال أهل المروءة الذين لا يقنعهم القليل، بل يسعون دائما إلى الأفضل وهم في ذلك مثل الأسد الذي وجد أمامه أرنبا أراد أن ينقض عليه ولما وجد ما هو أفضل وأكبر من البعير ترك الأرنب وذهب لحصول على البعير.

وحتى يدعم حجته ساق التشبيه التمثيلي الآتي:

«إن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد، والانحطاط منه مهين، كالحجر الثقيل، رفعه من الأرض إلى العالي عسير، ووضعه إلى الأرض هين"⁸ وهي صورة حية تقنع العقل وتؤثر في القلب تأثيرا شديدا، فالكاتب يشغل معلوماتنا التي نستقيها من إدراكاتنا الحسية ليصل إلى هدفه وهو إقناعنا بوجهة نظره وهو عدم القناعة بالعيش المهين والذل والسعي نحو العيش الكريم. رغم صعوبته لكن بإمكاننا الوصول إليه.

5- الإيجاز:

"ابن مقفع" وهو كاتب حكيم ومفكر ذو عقل جيد وثقافة وعلم وتمعن، ويبدو ذلك من خلال العبارات التي تبدو في كتابه بين الفينة الأخرى، وهي عبارات شديدة الإيجاز ولكنها تختصر معاني كثيرة ومواعظ كبيرة منها على لسان دمنة: «وقد قالت العلماء: من يشهد بما لم ير ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إني أعلمه»⁹ وهو بذلك اللفظ الموجز فتح المجال للمتلقين كي يتساءلوا عن مورد ذلك المثل .

6- التضاد:

استعمل الكاتب الطباق بكثرة لأنه يبين واقعين واقع يعيشه: وهو واقع مهين، وضع سياسي غير جيد وبين الواقع الذي يسعى إلى تحقيقه ويأمل أن يعيشه في يوم من الأيام، ومن أمثلة ذلك (الصديق≠العدو) (يسر≠يكبت) (المنزلة الوضعية≠المنزلة الرفيعة) وهو ما يندرج ضمن طباق الإيجاب، أما طباق السلب فنجد (مروءة≠لا مروءة) (يرضون≠لا يرضون) وهي كلمة تعكس الصراع الذي يعيشه الكاتب بين واقعه وما يسعى إليه من واقع مثالي.

والعبارة شيء بالغ وأمر بالغ، تعني أمراً جيداً، ومن هنا حملت البلاغة معنى جودة الكلام، وكلمة البلاغة في أصل اشتقاقها اللغوي، تعني التبليغ والتوصيل، أي القدرة على نقل معنى يعتمل في النفس إلى خارجها وتبليغه إلى آخر، وذلك يتم إما عن طريق الكلام بالدرجة الأولى وقد تساعده في ذلك بعض القرائن غير اللغوية المساعدة على الكلام كالإيماءات والإشارات ودرجة الصوت وتنغيمه¹⁰.

2-تعريف الملفوظ الحجاجي:

يعرّف "بنفنست" (Beniveniste) الملفوظية التي تدرس معنى الملفوظات بأنها "وضع اللغة موضع اشتغال بفعل الاستعمال الفردي¹¹ ويستنتج من هذا أنّ دراسة اللغة تكون ضمن العملية التواصلية، إذ تتحقق بفعل استعمال اللغة بين المتكلم والسامع في سياق ما للوصول إلى هدف إبلاغ المعنى الكامن في هذه اللغة.

وقد ميّز بنفيسست بين "التلفظ" و"الملفوظ"؛ فالأول حدث التكلم نفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام، أمّا الملفوظ فهو نتاج التلفظ أي مجموع الأقوال المنجزة¹².

وستكشف الدراسة على نوع من الملفوظات هي الملفوظات الحجاجية فما الحجاج؟

تعريف الحجاج لغة:

تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة (ح، ج، ح) المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، زمنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، وهذا ما نجده واردا في بعض المعاجم العربية، فمنها ما أورد معنى الحجاج على من أقيمت عليه الحجّة، وتحتاجوا تجادلوا، والحجّة الدليل والبرهان¹³.

يظهر من هذا أنّ الحجاج يكون لخصومة، وتكون الغلبة في الكلام والخطاب للذي يُقيم الحجّة والبرهان على صحّة ما يدّعي، ومادام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يجسّد صورة الخطاب الحجاجي.

تعريف الحجاج اصطلاحاً:

قد تمّ التأسيس لهذا التوجه الحديث سنة 1958، بصدر كتاب "مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة" لكلّ من "شيم برلمان" و "أولبرت تيتيكا Olbret Titeka" ¹⁴.

يعرّف الحجاج على أنّه آلية تعمل على عرض الحجج وتوظيفها من جهة، وكيفية تؤديّ إلى بناء الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية من جهة أخرى، دون أن تهمل في خضم ذلك شخصية المتكلم وطبيعة السامع المستهدف لأنّ تحقق الغرض التواصلية متعلّق بهما، ويكمن في مدى مناسبة المتكلم بين المعطيات الحجاجية وظروف المقام عامة، ومدى قدرته على استغلال هذه المعطيات لإقناع المستمع خاصة، إضافة إلى مدى استثماره النواحي النفسية والجوانب الوجدانية من أجل حتمية التأثير¹⁵.

وإنّ نجاح المتكلم في تطبيق تعاليم الحجاج وآلياته يسهم في بناء نمط خاص من أنماط الخطاب.

وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان كيفية تجلي الحجاج في خطاب محاكمة "دمنة"، وستركز في ذلك على أهم الآليات الحجاجية التي تضمّنتها، وذلك من وجهة نظر تداولية.

آليات الحجاج البلاغية في باب الفحص عن أمر دمنة في كلية ودمنة

لابن المقفع:

1- المقام:

يبدو من ظاهر الكتاب أنّ المقام، مقام للخواص والعوام، وذلك أن الكتاب يتضمن حكايات تدور على ألسنة الحيوانات، يحكيها الفيلسوف "بيدبا" للملك "دبشليم" لكن إذا تأمل القارئ هذه الحكايات جيداً وسر أغوارها وتفكر فيها وجد أن الحيوان فيما له وما ينطلق به حكمة وأدب، فيتحوّل المقام بذلك إلى مقام نصح وإرشاد والتحذير من عاقبة الكيد يهدف إليه مترجم الكتاب "ابن المقفع"، كما تؤكد أبحاث كثيرة، ويقصد من خلال ذلك تنبيه الإنسان إلى ما يحتاجه من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه وآخرته وأولاده.. وحسن طاعة الملك، ومن النماذج التي يتجلى فيها ذلك نموذج محاكمة دمنة المحتال في قضية نصبه واحتياله على الأسد الملك الذي قاده تهوره إلى قتل أقرب أصدقائه "الثور" وذلك نتيجة مكيدة "دمنة" المحتال له.

من خلال باب الفحص عن أمر دمنة يُستخلص أن المقام في هذه القصة هو مقام التحذير من عاقبة المحتال وأنّ من أراد منفعة نفسه بضرّ غيره والمكر فإنّه سيُجزى على مكره.

- التشبيه والاستعارة:

لقد عدل الكاتب في كثير من المواضع من كتابه هذا على المعنى الحقيقي الحرفي للكلام واستعمل الألفاظ استعمالاً مجازياً فكانت عبارته المنتقاة أبلغ من

الحقيقة فأضافت على النصوص طابعا حجاجيا، من خلال جعل ذهن الملتقي يتجول في خياله بحثا على المعنى المقصود، وإذا ما تحصل على المراد تمكن في نفسه واستقر في ذهنه لما يتركه من أثر قوي، ومن أمثلة التشبيهات التي وردت في كتاب كليلة ودمنة، قول ابن المقفع: "كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له" ¹⁶ فاستعمل تشبها مرسلا مفضّلا ذكر فيه أداة التشبيه وهي الكاف، وحذف الوجه الشبه ليكون التجسيد أكثر بلاغة وإقناعا للمتلقي.

- وإذا كان التشبيه تشكل من ركنين أساسيين فإن الاستعارة هي تشبيه حذف أحد ركنيه ومن أمثلة ذلك في كتاب كليلة ودمنة: " فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة" ¹⁷ فذكر المشبه (المروءة) وحذف المشبه به يقدر (بالإنسان) وعوضه بقرينة لفظية وهي (ترفع) ، فلجأ الكاتب إلى هذا الاستعمال مصورا المعاني في شكل محسوسات حتى يقرب الصورة أكثر إلى الملتقي ويقنعه بفكرة ما تفعل المروءة لصاحبها فهي تتحكم في منزلته، فإذا حافظ عليها تكون نتيجة ذلك المحافظة على منزلته.

3- الكناية:

وهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم ¹⁸ وهي أسلوب يعدّ ذكره من أساليب التجسيد عن المراد بطريقة غير مباشرة ¹⁹ ، ولذلك كانت الكناية من أحسن الطرق التي لجأ إليها الكاتب لأنه يريد التصريح بمقاصده مباشرة وإلا أدى ذلك إلى هلاكه وذلك ما حصل بالفعل ويتجلى من خلال نهايته الأليمة.

- ومن نماذج ذلك: "

- "الرجل الشديد لا يعجزه الحمل الثقيل" ²⁰ كناية عن هموم الدنيا فإنها إذا اشتدت على الرجل الشديد لا يعجزه الحمل الثقيل " كناية عن هموم الدنيا فإنها إذا اشتدت على الرجل الشديد فسيقام بقوة ولا يهزم أمامه.

4- التمثيل:

«وهو التمثيل المركب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد»²¹. ومن أمثلة ذلك قوله على لسان دمنة (ابن آوى) .

"وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به، دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هو أهل له، وهو أيضا لهم أمل، كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير"²² فصور لنا "ابن المقفع" بهذا التمثيل حال أهل المروءة الذين لا يقنعهم القليل، بل يسعون دائما إلى الأفضل وهم في ذلك مثل الأسد الذي وجد أمامه أرنباً أراد أن ينقض عليه ولما وجد ما هو أفضل وأكبر من البعير ترك الأرنب وذهب لحصول على البعير.

وحتى يدعم حجته ساق التشبيه التمثيلي الآتي:

«إن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد، والانحطاط منه مهين، كالحجر الثقيل، رفعه من الأرض إلى العالي عسير، ووضعها إلى الأرض هين"²³ وهي صورة حية تنفع العقل وتؤثر في القلب تأثيراً شديداً، فالكاتب يشغل معلوماتنا التي نستقيها من إدراكاتنا الحسية ليصل إلى هدفه وهو إقناعنا بوجهة نظره وهو عدم القناعة بالعيش المهين والذل والسعي نحو العيش الكريم. رغم صعوبته لكن بإمكاننا الوصول إليه.

- الإيجاز:

"ابن مقفع" وهو كاتب حكيم ومفكر ذو عقل جيد وثقافة وعلم وتمعن، ويبدو ذلك من خلال العبارات التي تبدو في كتابه بين الفينة الأخرى، وهي عبارات شديدة الإيجاز ولكنها تختصر معاني كثيرة ومواعظ كبيرة منها على لسان دمنة: «وقد قالت العلماء: من يشهد بما لم ير ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه إني أعلمه»²⁴، وهو بذلك اللفظ الموجز فتح المجال للمتلقين كي يتساءلوا عن مورد ذلك المثل.

-6- التضاد:

استعمل الكاتب الطباقي بكثرة لأنه يبين واقعين واقع يعيشه: وهو واقع مهين، وضع سياسي غير جيد وبين الواقع الذي يسعى إلى تحقيقه ويأمل أن يعيشه في يوم من الأيام، ومن أمثلة ذلك (الصديق≠العدو) (يسر≠يكبت) (المنزلة الوضيعة≠المنزلة الرفيعة) وهو ما يندرج ضمن طباقي الإيجاب، أما طباقي السلب فنجد (مروءة≠لا مروءة) (يرضون≠لا يرضون) وهي كلمة تعكس الصراع الذي يعيشه الكاتب بين واقعه وما يسعى إليه من واقع مثالي.

7- التجانس:

المحسنات البديعية هي ما يزيد الكلام رونقا وحسنا وجمالا ويستعملها الكاتب لجذب انتباه المتلقي وإقناعه بالأفكار، والمقاصد التي يرمي إليها ومن أقوى المحسنات "الجناس"، ولم يلجأ إليه الكاتب كثيرا لأن همه كان منصبا حول كيفية نقل الرسائل إلى المجتمع والساسة، بطريقة لا يكشفها من هو موجه إليه الكلام فكان الأسلوب الذي استعمله الكاتب لنقل أفكاره عن طريق القصص والحكايات أسلوبا جميلا يجذب المتلقي دون الحاجة إلى أي محسنات، ولا يمنع من وجود بعض النماذج منها:

(وضيعة، ربيعة)

8- الشاهد والمثل:

وحتى يقنع الكاتب متلقيه بصحة الأفكار التي يدعو إليها وبيان مدى وسلامتها، استعمال بكثرة أقوال العلماء منها:

- قولها في الرجل الرشيد: «إن لا يرى إلا في مكانين، ولا يلاقي بها غيرهما، إما مع الملك مكرما، وإما الشاك متعبدا... من المحتال يموت قبل أجله... من كتب حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة»²⁵.

9- المثل:

أما المثل فيكثر في كتاب "ابن المقفع"، فلا يكاد يذكر قصة إلا وسرد داخلها قصة مشابهة لوضع معين في تلك القصة، ويذكر الكاتب النتيجة التي تؤول إليها

القصة الثانية ويجذر من الوقوع فيها نتيجة وجود نفس الأسباب التي تؤدي إليها ومنها:

"فلما سمع دمنة ذلك قال: وما مثلك إلا مثل رجل قال لامرأته: انظري إلى عُريك وبعد ذلك انظري إلى عري غيرك، قيل له: وكيف كان ذلك؟"²⁶

*آليات الحجاج اللغوية في كلية ودمنة:

1- الروابط الحجاجية :

كتاب كلية ودمنة يحتوي على أنواع مختلفة من الروابط الحجاجية، يمكن تقسيمها على النمط التالي:

1-1-1 الروابط المدرجة للحجاج:

1-1-1.1. الرابط الحجاجي "لأن":

يعتبر الرابط الحجاجي (لأن) من أهم روابط التعليل والتي تربط بين السبب والنتيجة، ومن مواضع استعمالها قول دمنة متحدثاً للجنود مبرّءاً نفسه من التهمة المنسوبة إليه :

«ما ترك الأول للآخر شيئاً لأنه يقال أشدّ الناس في توقّي الشرّ يصيبه الشرّ قبل المستسلم له»²⁷.

استعمل "ابن المقفع" هذا الرابط (لأن) لغرض تعليل حالة دفاع دمنة عن نفسه، خاصة وأن المتلقي لم يعهد كذا وضعاً من قبل، فراح يبين لهم بطلان ادّعاءات الأسد فساهمت (لأن) إلى حد كبير في تأكيد ظلم الأسد وكبره وتواكله على غيره وحجة ذلك أن لا يكون الملك وحنوده المثل السوء باضطهادهم له . وما يلاحظ في حجج دمنة رغم كذبه كانت دامغة لأنه يحترف الكذب والخداع ولم يعترف بجرمته ولم يستسلم إلى أن أدلى الشاهدان بشهادتهما.

1-1-2. الرابط الحجاجي "لام التعليل":

وهي أيضاً من الروابط الحجاجية التي تستعمل للتعليل ومن بين الاستعمالات التي تضمن هذا الرابط، « ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر

لها»(ص130) فالحجة: هي الخلاص والرابط الحجاجي هو اللام، والنتيجة هي انفلات دمنة من مصيدة الإدانة، فقد جاءت الحجة لدعم السبب بفضل رابط (اللام) .

وقوله في موضع آخر: «وإنك أمرت به لوقته وأرضيت به ربّ العباد»(ص132)

1-2- روابط التعارض الحجاجي:

ومن أهم روابط التعارض:

-الرابط الحجاجي "لكن": ومن أمثلة ما ورد في الكتاب: قالت أم الأسد: «إني لم أجهل قول العلماء في في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار، ولكنّي أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك»²⁸ وقول كليلة لأخيه دمنة"ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة...ولكن لم يكن لي بدّ فيما مضى من إنذارك"²⁹

ومعنى لكن في جميع مواضيعها الاستدراك³⁰، وهي تداوليا تربط بين حجتين لكن تكون الحجة الأولى أقوى من الحجة الثانية حيث نجد الحجة الأولى التي قدمتها "أم الأسد هي حجة أقوى من الحجة التي استدركها "كليلة" وهي عدم رغبته في دنو أخيه من الملوك من أجل الظفر بالسلطة، وإنما يدنو منهم لغايات أسمى، وقال في موضع آخر: «إن السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاً من بحضرته ولكن يؤثر الأدنى ومن قرب منه»³¹.

1-3- روابط التساوق الحجاجي:

وقد توفر الخطاب على عدد كثير منها، كما جاء في قوله: «وليس أحد يصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره، حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع، فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة»³² فتوفرت العبارة على حجتين متساويتين أي أنّهما تخدمان نتيجة واحدة وهي عدم احتقار صغار الأمور لأنها تكون نافعة أحياناً.

1-4 الروابط الحجاجية: "الواو والفاء وإما":

تكثر في هذا الكتاب روابط الاتساق التي تساهم في تركيب الحجج وأهمها: الرابطة الحجاجي "الواو" ومن الاستعمالات التي تكرر فيها:

قوله: «إن مصاحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج، وهو الذي يسלט على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها، وهو الذي يجعل العاجز حازماً ويثبط الشهم، ويوسع المنفتر، ويجبن الشجاع عندما تعتربه المقادير العلل التي وضعت عليه الأقدار»³³. فالواو ساهمت بشكل فعال في اتساق الحجج أفقياً لخدمة نتيجة واحدة وهي خطورة مصاحبة السلطان.

وكذا في ترتيب الحجج ترتيباً منطقياً، يجعل القارئ يعيش مع الأحداث وكأنها حقيقة ويتبع الحجة تلو الأخر ليصل إلى النتيجة النهائية، فيقبلها بكل سهولة. وساهم كذلك الرابطة الحجاجي "أما" بشكل كبير في ترتيب الحجج وتنظيمها ومن أمثلة ما ورد في الكتاب قوله على لسان "دمنة": «إنما يؤتى السلطان ويفسد أمره من قبل ستة أشياء: الحرمان والفتنة والهوى والفضاظة والزمان والخرق»³⁴.

فأما الحرمان فأن يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة، وترك التفقد لمن هو كذلك، وأما الفتنة فهي تحارب الناس. ووقوع الحرب بينهم، وأما الهوى فالغرام بالحدث واللهو والشراب والصيد .

فذكر الكاتب مفسدات السلطان بشكل عام ثم طفق يفصّل فيها بشكل منظم مرتباً المفسدات الواحدة تلو الأخرى حتى انتهى منها كلها، ولذلك أثر كبير في إقناع المتلقي وجعله يتابع الحجة تلو الأخرى فيقبل عقله هذا الحجج واحدة واحدة حتى يقتنع بها كلها.

2- السلم الحجاجي:

ومن أمثلة الأقوال المزود بعلاقة ترتيبية قائمة بين الحجج مايلي:

ما قاله الأسد مبرئاً نفسه من أذية الثور:

قال الأسد: «وكيف لم يرعيني سوءاً قط؟ ولم أدع خيراً إلا وفعلته معه؟ ولا أمنية وإلا بلغته إياها؟»³⁵

وإذا طبقنا على هذه الأقوال آلية السلم الحجاجي وجدنا أن كل قول يلزم عنه ما يقع تحته، فعدم مساس الثور بسوء قط يلزم عنه فعل كل خير معه ثم لزم عن كل ذلك تبليغ كل أمنية إياه.

- كل قول عمل حجة ما فإن ما يعلوه مرتبة يحمل حجة أقوى منه على

الشكل التالي:

ولا أمنية إلا بلغته إياها

لم أدع خيراً إلا فعلته معه

لم يرمني سوءاً قط

فعدم رؤية الأسد هي حجة للثور على مدى إخلاص الأسد، وعدم ترك خير قط، وإلا فعله معه، هي حجة أقوى من التي قبلها وتبلغ الحجة ذروتها في أعلى السلم عندما لا يترك أمنية له وإلا وبلغه إياها، ونحن نعلم أن الأمنيات هي أصعب الأشياء تحقيقاً إلا بعد جهد كبير.

وقد استعمل "دمنة" نفس الآلية لإقناع الثور بأن الأسد ينوي غدرًا، فقال له بأنه سمع من خير صدوق قول الأسد: «أعجبني سمن الثور، وليس لي إلى حياته حاجة، فأنا آكله ومطعم به أصحابي»³⁶ فكان "دمنة" شديد الذكاء في إقناع الثور بعدم إخلاص الأسد وتبليغ حجته له على أحسن طريقة حجاجية تقنعه ولا تجعله يشك أبداً في كذب "دمنة". فبدأ بحجة قوية مطابقة للواقع أن يتفق عليها كل من المتكلم والمخاطب، ثم انطلق إلى الحجة الأقوى بعدما مهد لها بحجة أضعف، وكانت تلك الحجة هي أن الأسد ليس له حاجة في حياة الثور فهي لا تنفعه ولا تضره، مما بدأ يثير شكوك الثور بأنه ميت لا محالة، ثم أكد له "دمنة" شكوكه عندما ذكر الحجة الأخيرة والأقوى وهي أقوى الحجج، واتخذ في ذلك السلم التالي:

أنا آكله ومطعم أصحابي

ليس لي إلى حياته حاجة

أعجبني سمن الثور

خاتمة:

قد تبين من خلال ما بينته دراسة بلاغة الملفوظات الحجاجية في محاكمة دمنة من خلال باب الفحص عن أمر دمنة في كلية دمنة لابن المقفع، مجموعة من النتائج، لعل أهمها:

- يعتبر الحجاج حلقة وصل بين البلاغة والتداولية؛ فهو يأخذ من كل واحد منهما جانباً، والفاصل بينهما يكون منهجياً فقط، وذلك حتى لا يشتت ذهن القارئ في خلط بينهما.

- إن الحجاج يعتمد على مجموعة الأدوات اللغوية والآليات البلاغية التي يعتمد عليها المتلقي كأساس في عملية التحليل الحجاجي.

- الصورة البيانية بمختلف أشكالها من تشبيه وكناية واستعارة، وسيلة فعالة في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

- التحليل الحجاجي في محاكمة دمنة، يكشف لنا عن الوظيفة الإقناعية ويزر قدرة ابن المقفع التعبيرية وأن خطاب المحاكمة في كلية دمنة ذو توجيه إقناعي إذ تحتوي بنياته على كم هائل من الحجج التي تلفت انتباه القارئ وتؤثر فيه.

يتمتع ابن المقفع بقدرة إقناعية كبيرة فقد نوح في سبل إقناع المتلقي، فقد كانت الظروف السياسية التي عاش فيها مجتمعه باعثاً على الإبداع له.

- تعتبر الاستعارة من أبلغ الوسائل الحجاجية، فهي أبلغ من الحقيقة التي تؤسد بها "ابن المقفع" في إقناع القارئ وذلك باعتمادها على :

- الحوار الاستعاري

- مبدأ التكرار

- الربط اللغوي والبلاغي بين أجزاء الحجج

- أنّ المنهج التداولي في دراسة اللغة يمثل مصدرا ثريا يستطيع أن يغني
البحث اللغوي من خلال مختلف الصور البيانية، وذلك من أجل تحقيق الوظيفة
الحجاجية

هوامش:

- ¹ ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 137
- ² المرجع نفسه، ص 121
- ³ ينظر عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ج 2، الدار الشامية، ط 1، بيروت، 1996، ص 135
- ⁴ المرجع نفسه، ص 136
- ⁵ ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 139
- ⁶ عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية، ص 101
- ⁷ ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 140
- ⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ⁹ المرجع نفسه، ص 139، 140
- ¹⁰ ينظر، رشيدة آيت عبد السلام، تعليمية البلاغة العربية على ضوء علوم اللسان الحديثة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، إشراف، الدكتور، مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، 2007/2008، ص 13
- ¹¹ ينظر، حديش صالح، اللسانيات الملفوظية ودراسة الوصلات في اللغة العربية، دكتوراه دولة في اللسانيات العامة، قسنطينة، 2004، ص 58
- ¹² ينظر، بجياتن محمد، الأصالة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث أو اتلفظ، (مقال) مجلة اللغة والأدب، دار الحكمة، الجزائر، العدد 14، ديسمبر، 1999، ص 337
- ¹³ ينظر، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، الجزء 1، المكتبة الإسلامية، ط 2، ص 106، 107
- ¹⁴ Jean, jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, édition nathan Paris, France, R,2,2000,P39
- ¹⁵ ينظر، صابر حياشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول، دمشق، 2008، ص 21

- ¹⁶ ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 137
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 121
- ¹⁸ ينظر عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ج 2، الدار الشامية، ط 1، بيروت، 1996، ص 135
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص 136
- ²⁰ ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 139
- ²¹ عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية، ص 101
- ²² ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 140
- ²³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص 139، 140
- ²⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- ²⁶ رجع نفسه، ص 136
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 128
- ²⁸ المرجع نفسه، ص 127
- ²⁹ المرجع نفسه، ص 132
- ³⁰ ينظر، الحسن قاسم الجن، الداني في حروف المعاني، تح، فخر الدين الديفتيارة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1992، ص 591
- ³¹ باب الأسد والثور، ص 86
- ³² باب الفحص عن أمر دمنة، ص 130
- ³³ المرجع نفسه، ص 132
- ³⁴ المرجع نفسه، ص 130
- ³⁵ المرجع نفسه، ص 126
- ³⁶ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.